السيميائية: المصطلح والمفهوم والإشكالية

أ. أمينة فزاري

قسم اللغة العربية

المركز الجامعي الطارف

ملخص: السيميائية، أو السيميولوجيا، هي المقابل لكلمة la Sémiotique الفرنسية المشتقة من الكلمة اليونانية Sèmeion التي تعني Signe أي العلامة. وكلمة السيميائية في العربية مشتقة من الجذر اللغوي س و م والسومة والسيمة والسيما والسيماء والسيميا و السيمياء مثلما هو الأمر بالنسبة لكلمة Signe الفرنسية هي العلامة. هذا، والسيمياء في العربية تطلق على أحد أمرين: إما على العلم الرباني الذي يظهر لأهل التصرف بعدها ضربا من ضروب علوم التصوف، أو على علم شيطاني بعدها ضربا من ضروب السحر. وإذا رجعنا إلى اللغة الفرنسية نجد مصطلحين اثنين متشابهين هما: la Sémiotique و la Sémiologie يطلق كل منهما على علم العلامات الذي اشتهر في إرساء دعائمه عالمان اثنان، هما : تشارلز ساندرس بيرس و فرديناند دي سوسير. ثم أقام صرحه مجموعة من العلماء يأتي في مقدمتهم ألجرداس جوليان غريماس وتزفيتان تودوروف ورولان بارث ويوري لوتمان وأمبرطو إيكو وجوليا كريستيفا . بخاصة بعدما خرجت مجلة سيميوتيكا Sémiotica إلى النور. وقد طرحت إشكالية الفصل بين المصطلحين واختيار أحدهما إلى أن طرحت اقتراحات نقل السيميائية من مجال العلم إلى مجال المنهج و الدراسة والطريقة في التحليل والآلية في الإجراء في حين يتم ربط السيميولوجيا بالعلم فنقول سيميائية أدبية سيميائية أسلوبية سيميائية سردية وهكذا.

Résume

Le mot d' Essiimiyaia est l'équivalent arabe du Français Sémiotique qui dérive lui-même du mot grec SEMEION qui signifie « SIGNE »ou « MARQUE ».

Le mot arabe de ESSIIMIYA dérive، lui، de la racine S OU M qui donne ESSOUMA، ESSIIMA، ESSIIMA A، ESSIIMAOU، ESSIIMIYA، ESSIIMIYAOU، qui signifie، également، « SIGNE » ، « MARQUE ».ESSIIMIYA، en Arabe، revêt deux sens :le premier a trait à la connaissance mystique، si on la considère comme faisant partie de la MYSTIQUE ou du MYSTICISME، le second à une science satanique، si on la considère comme faisant partie de la MAGIE.

Revenant à la langue Française، nous retrouvons deux termes semblables qui sont la Sémiotique et la Sémiologie_ qui ont trait، chacun، à la science des signes dont les bases ont été jetées par CHARLES SANDERS PEIRCE et FERDINAND DE SAUSSURE. Vinrent، après eux ،d'autres qui l'ont constituée en science، à leur tête Algirdas Julien GREIMAS، Tsvestan TODOROV، Roland BARTHES، Iouri LOTMAN، Umberto ECO، et Julia KRISTEVA، après que la revue « Sémiotica » ait vu le jour. La problématique de la distinction des deux termes s'est، alors، posée، ainsi que celui du choix de l'un d'eux. Et tandis que la Sémiologie a été érigée en science، il a été aussi suggéré de sortir la Sémiotique du rang de science à celui de la Méthode، de l'examen، des moyens d' analyse، et des mécanismes ; on dit، alors، Sémiotique littéraire، Sémiotique du style Sémiotique narrative....ainsi de suite.

السيميائية: المصطلح، والمفهوم، والإشكالية:

كلمة السيميائية هي المقابل اللغوي العربي لكلمة la sémiotique أو The semiotics الإنجليزية... المشتقة من الكلمة اليونانيةsèmeion التي تعني signe أي العلامة.[1] وتثبت المعاجم اللغوية الفرنسية رجوع هذه الكلمة الحديثة التي بدأ استعمالها في اللغة الفرنسية منذ سنة 1555م، إلى الكلمة اليونانية القديمة sêmeiôtikê المشتقة من sèmeion.[2] ومن غير المنصف، أن نقول إن كلمة السيميائية غربية تأليفا ووضعا واستعمالا؛ فالسيميائية، كسر الميم، من السيمياء التي تعني العلامة مأخوذة من الجذر اللغوي العربي س و م؛ ذلك أن أصل الياء واو قلبت ياء لسكونها ولانكسار ما قبلها:

سوم ← سومياء ← سيمياء ← سيميائي/ سيميائية ← السيميائية .

فالسومة والسيمة والسيما والسيماء والسيميا والسيمياء العلامة[3] قال الجوهري (ت. 383 هـ /1005 م): "السومة، بالضم، العلامة تجعل على الشاة وفي الحرب أيضا."[4] وقال" أبو بكر: قولهم عليهم سيما حسنة معناه علامة"[5] وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي [ت. 175 هـ/ 797 م]" والسيما ياؤها في الأصل واو، وهي العلامة التي يعرف بها الخير والشر في الإنسان قال الله عز وجل {يعرفونهم بسيماهم} [الأعراف: 48] يعني الخشوع"[6] وقال الزجاج (ت.301 ه- / 923 م)

في تفسير قوله تعالى {حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين} (الذاريات: 34) "روي عن الحسن أنها معلمة ببياض وحمرة، وقال غيره: مسومة بعلامة يعلم بها أنها ليست من حجارة الدنيا ويعلم بسيماها أنها مما عذب الله بها؛ وقال الجوهري: مسومة أي عليها أمثال الخواتيم. وفي التنزيل العزيز {و الخيل المسومة} (آل عمران: 14) قال أبو زيد: الخيل المسومة المرسلة وعليها ركبانها، وهو من قولك: سومت فلانا إذا خليته

وسومه أي وما يريد، وقيل: الخيل المسومة هي التي عليها السيما والسومة وهي العلامة."[7] "وقال تعالى {من الملائكة مسومين} (آل عمران:125) قريء بفتح الواو، أراد معلمين."[8] وفي الحديث الشريف "إن لله فرسانا من أهل السماء مسومين" أي معلمين[9] وقيل إن الرسول – صلى الله عليه وسلم– قال يوم بدر "سوموا فإن الملائكة قد سومت"، أي اعملوا لكم علامة يعرف بها بعضكم بعضا.[10] أما لفظ سيمياء، فقد أنشد "الجوهري" لـ "أسيد بن عنقاء الفزاري" يمدح "عميلة" حين قاسمه ماله:[11]

غلام رماه الله بالحسن يافعا له سيميـــاء لا تشق عـــلى البصـــر

كأن الثريا علقت فوق نحره وفي جيده الشعرى، وفي وجهه القمر

وعلى الرغم من التقارب الموجود بين سيما وسيماء وسيميا وسيمياء مبنى ومعنى، تبقى سيما أفصحها وأقربها إلى الاستعمال. وبها نطق القرآن الكريم في ست آيات شريفة من خمس سور؛ اثنتان منها مكية وأربع مدنية، هي:

1– {و تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا} (البقرة: 273)
2 – { و على الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم} (الأعراف :46)
3 – { ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم} (الأعراف: 48)
4 – { و لو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم} (محمد: 30)
5 – {سيماهم في وجوههم من أثر السجود} (الفتح: 29)
6 – {يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام} (الرحمن: 41)

ويتبدى لنا، من خلال مقارنة الكلمة اليونانية sèmeion بالكلمة العربية سيميا بالقصر أو سيمياء بالمد، اشتراكهما في الجذر اللغوي وفي المعنى؛ حتى إننا لنتساءل عن الأصل الحقيقي لهذا الجذر اللغوي: أيوناني أم عربي؟

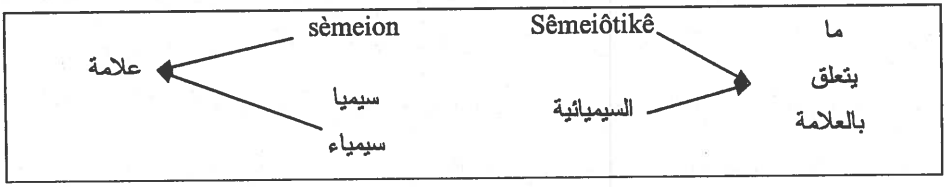

وعلى كل حال، ليس هذا بموضوعنا، ولكن ثمة تعريفان لا بد من ذكرهما؛ ورد الأول في روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني لشهاب الدين محمد الآلوسي [1180ـ 1232هـ/1802ـ1854م] والثاني في أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم لصديق بن حسن القنوجي (1248ـ1307هـ/1870ـ1929م):

1 -"ولفظ سيمياء معرب شيم يه ومعناه اسم الله تعالى".[12]

2 -"ولفظ سيميا عبراني معرب أصله سيم يه و معناه اسم الله ".[13]

فالسيمياء لغة، إذن، العلامة. أما اصطلاحا، فالسيميا أو علم السيميا أوالسيمياء أو علم السيمياء – في الفكر العربي والإسلامي القديم – أحد أمرين: إما علم رباني يتكشف لأهل التصرف من المتصوفين لأن نفوسهم متهيئة لذلك، أو علم شيطاني من قبيل السحر يتصرف به السحرة والمشعبذون والمدعون من أبناء الأمة لتحقيق أغراض خاصة بهم أضرارها أكثر من منافعها. جاء في كتاب أبجد العلوم أن السيمياء فرع أو قد تكون فرعا من السحر يطلق على السحر غير الحقيقي المتمثل في إحداث مثالات خيالية في الجو لا وجود لها في الحس أو مثالات خيالية لها صورها في الحس، فينتج عن ذلك ظهور بعض الصور في جوهر الهواء تمر بسرعة لسرعة تغير جوهر الهواء، و لأنه لا مجال لحفظ ما يقبل منها لزمن طويل لرطوبتها فتكون تلك الصور سريعة الإقبال سريعة الزوال.[14] والتعريف بهذا العلم موجود في الكتب التي عنيت بعلوم السحر والطلسمات وأسرار الحروف والأسماء والأرواح والأرصاد، أشهرها مؤلفات "جابر بن حيان" [ت. 193هـ/815م]، ومؤلفات "مسلمة بن أحمد المجريطي"(328-385هـ/950- 1007م)

بخاصة كتابيه غاية الحكيم ورتبة الحكيم، وكتاب الإشارات لابن سينا (358-415هـ-/980-1037م)، ومؤلفات شهاب الدين السهروردي (ت.586هـ/1208م)، ومؤلفات "أحمد البوني" (ت. 603 هـ /1225م)، وكتابا شمس المعارف الكبرى وسر الحكم ل-" أبي العباس أحمد بن البناء" (ت. 701 هـ/ 1323 م). وذهب القنوجي في موضع آخر من الكتاب المذكور، إلى أن علم السيمياء فرع من علم الطبعي موضوعه الأجسام المركبة التي لا يلزمها مزاج ،يبحث في الأحوال الطبعية لتلك الأجسام من حيث استعدادها للحركة والسكون، ومن ثم ، للتغير والثبات.[15] ولأن علم السيمياء، بعده ضربا من ضروب السحر - يظهر الباطل في صورة الحق، عده كثير من الأئمة والفقهاء من الكبائر يحرم إتيانه. نورد، على سبيل المثال لا الحصر، قول محمد بن عثمان الذهبي (673 - 748 هـ) في كتابه الموسوم بـ الكبائر:" فترى خلقا كثيرا من الضلال يدخلون في السحر ويظنونه حراما فقط، وما يشعرون أنه الكفر فيدخلون في تعليم السيمياء وعملها وهي محض السحر".[16] و لم يتردد "تقي الدين أحمد بن تيمية" (661- 728ه- / 1263- 1328م) في التصدي لممارسي السيمياء من السحرة والمشعبذين، فوضع مؤلفه الذي يحمل عنوان الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان مبينا أن كثيرا ممن يظهرون للعامة بصفة الأولياء الصالحين ما هم في الحقيقة إلا سحرة مشعبذون أولياؤهم الشياطين؛ من ذلك رأيه في الحلاج (ت.309 هـ / 922 م) وهو مشهور.

أما " عبد الرحمن ابن خلدون" (710ـ784هـ/1332ـ1406م)، فيتأرجح في تعريفه لهذا العلم بين كونه من علوم السحر- تارة - ومن علوم المتصوفين تارة أخرى. فعندما يتحدث عن علم السحر والطلسمات، يجعل علم السيمياء فرعا من فروع السحر يؤدي إلى إحالة الأجسام النوعية من صورة إلى صورة أخرى؛ وكثيرا ما يطلق عليه اسمصناعة السيمياء؛ فقد جاء في باب حديثه عن علوم السحر والطلسمات قوله:"لأنها أي صناعة السيمياء من

توابعها أي علوم السحر والطلسمات؛ لأن إحالة الأجسام النوعية من صورة إلى أخرى إنما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية فهو من قبيل السحر"[17] وعندما يتحدث عن علم أسرار الحروف يجعل علم السيمياء تسمية أخرى ل- علم أسرار الحروف ثم يصرح أن علم أسرار الحروف قد انتقل وضعه من علم الطلسمات إلى علم السيمياء على الرغم من أن علم السيمياء أعم وأشمل فما علم أسرار الحروف إلا فرع منه نشأ بعد الصدر الأول للإسلام عند ظهور الغلاة من المتصوفين الذين نزعوا إلى كشف حجاب الحس والتصرف في عالم العناصر.[17] هذا عن مفهوم السيمياء في الفكر العربي والإسلامي القديم أما في الفكر العربي الحديث فإن مفهوم السيميائية قد استمد من المفهوم المتداول في العالم الغربي . فبصدور كتاب الفيلسوف الأمريكي "تشارلز ساندرس بيرس/ Charles Sanders Peirce" (1839 -1914م) الموسوم بـــ، ولد مصطلح sémiotics(السيميائية/ sémiotique / sémiotica) وحظي بمكانة خاصة في حقل الدراسات الفلسفية عامة والمنطقية خاصة. وبصدور كتاب اللغوي الفرنسي الجنسية السويسري الأصل "فرديناند دي سوسير/ Ferdinand de Saussure"(1857-1913م) الموسوم ب- محاضرات في اللسانيات العامة/Cours de linguistique générale، الذي نشره تلامذته بعد وفاته، ولد مصطلح la sémiologie (السيميولوجيا) وشق لنفسه طريقا خاصا في حقل الدراسات الإنسانية والاجتماعية بشكل عام؛ (19) "la sémiologie est née d' un projet de F. de Saussure. ومن ثم، ظهر مصطلحان اثنان ينحدران من الجذر اللغوي نفسه sèmeion ويكادان يشتركان في المعنى نفسه؛ هما مصطلح السيميائية/La sémiotique ومصطلح السيميولوجيا/ La sémiologie؛ فالتبس الأمر على كثير من الباحثين والنقاد وأشكل حتى راحوا يتأرجحون بين استعمال مصطلح La sémiotique تارة ،واستعمال مصطلح La sémiologie تارة

أخرى. وتفضي الملاحظة الأولى السطحية لهذين المصطلحين أو بالأحرى لهتين الكلمتين إلى أن:

1 – كلمةsémiologie ــ في الأصل ــ يونانية التأليف، تتألف من شطرين يحمل الأول sémio المأخوذ من الكلمةاليونانية sèmeion معنى العلامة. ويحمل الثاني logie المأخوذ من الكلمة اليونانية logia، معنى الدراسة أو العلم. وبذلك يكون معنى كلمة sémiologie علم العلامة، أو علم العلامات، أو علم دراسة العلامة أو العلامات أو دراسة العلامة أو العلامات.

2– كلمة sémiotique مؤلفة من شطرين: يحمل الأول Sémio المأخوذ من الكلمة اليونانية Sèmeion، معنى العلامة. ويعتبر الثاني tique من اللواحق التي تضاف إلى آخر الكلمة الفرنسية للدلالة على النسبة فنقول على سبيل المثال "بمعنى دراسة سيميائية أو" بمعنى نظام سيميائي. ويتبادر إلى الذهن أن كلمة Sémiotique مرادفة لكلمة Sémiologique [مع ملاحظة أن T زائد]. أما "تشارلز سندرس بيرس" Charles Sanders Peirce ، بحكم الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه الفلسفة، فقد جعل السيميائية أو السيميوطيقا– كما يحلو للبعض تسميتها –مرادفة للمنطق – تارة – ومتضمنة له تارة أخرى؛ يقول: "ليس المنطق – بمعناه العام – سوى تسمية أخرى للسيميوطيقا أو السيميائية، إنه النظرية شبه الضرورية أو الشكلية للعلامات. وعندما أصف هذه النظرية باعتبارها "شبه ضرورية"أو شكلية ،فإني أود أن أقول إننا نلاحظ خصائص العلامات التي نعرفها وإننا – انطلاقا من هذه الملاحظة – ننساق بوساطة سيرورة – لا أتردد في تسميتها بالتجريد – إلى أقوال خادعة للغاية، ومن ثم، فهي ،بتعبير آخر ،أقوال غير ضرورية – إطلاقا – وتتعلق بما ينبغي أن تكون عليه خصائص كل العلامات التي يستعملها عقل "علمي"، أي عقل قادر على التعلم بوساطة الاختبار".[20] ويقول:"...فإن للسيميوطيقا أو السيميائية ثلاثة فروع، يسمي دانس سكوتس

Duns Scutus الفرع الأول منها النحو النظري، ويمكننا أن نطلق عليه اسم النحو الخالص. ووظيفة هذا الفرع البحث فيما يجعل المصورة التي يستخدمها كل فكر علمي قادر على تجسيد معنى ما. والفرع الثاني هو المنطق الصرف، وهو علم يبحث في حقائق شبه ضرورية عن مصورات الفكر العلمي التي تجعلها تصلح لموضوعه أي تصح له. وبتعبير آخر، فالمنطق الصرف هو العلم الشكلي لشروط صحة التصوير. وسأطلق على الفرع الثالث مصطلح البلاغة الخالصة. ووظيفة هذا الفرع البحث في القوانين التي تجعل كل علامة في الفكر العلمي مولدة لعلامة أخرى و بصورة خاصة كيف تولد خاطرة خاطرة أخرى "[21] وقداعتبر "بيرس" Charles Sanders Peirce السيميوطيقا السيميائية علما ينطق العلامات ويصنفها ويكشف عن وظائفها فيميز العلامات الصادقة من العلامات الكاذبة ويعرف بوظيفتين دلاليتين أساسيتين للعلامات، هما: وظيفة نقل الدلالة الصادقة، ووظيفة نقل الدلالة الكاذبة. ولما كانت سيميائية أو سيميوطيقا بيرس Charles Sanders Peirce قائمة على المنطق و الرياضيات ومستندة إلى "الظاهرتية"[22]، لم يتردد كثير من النقاد والباحثين في القول إن سيميائية أو سيميوطيقا بيرس Charles Sanders Peirs هي- بحق- علم الظواهر.[23] وإذا كانت سيميائية أو سيميوطيقا بيرس Charles Sanders Peirce علما عاما للعلامات، فإن العلامة – كما يعرفها بيرس Charles Sanders Peirce – شيء يعوض شيئا معينا بالنسبة إلى شخص معين وفق علامة معينة؛ يقول: "العلامة أو الممثل بمثابة أول يكون علاقة مع ثان يسمى موضوعه موضوع العلامة، وهي علاقة ثلاثية هي من الأصالة بحيث يمكنها تحديد ثالث يسمى مؤوله أي مؤول العلامة أو الممثل"[24] ومعنى ذلك، أن العلامة أو الممثل عندما يتلقاها الشخص شخص ما تكون في ذهنه معنى ما أو تصورا معينا، وهو ما يجعلها تنتج مؤولا لذلك الممثل. ويعوض الممثل شيئا آخر يسمى الموضوع قد يكون على حد تعبير بيرس Charles Sanders Peirce مباشرا أو غير مباشر، يوجد

المباشر داخل العلامة، وغير المباشر خارجها. ويبدو أن الأمر قد وصل بـــ "تشارلز ساندرس بيرس" Charles Sanders Peirce إلى عد السيميائية أو السيميوطيقا منظارا فريدا من نوعه ينبغي استعماله للتطلع في جميع أنواع المعارف والعلوم؛ يقول: ليس بمقدوري البتة دراسة أي شيء مهما كان: الرياضيات، أو الأخلاق، أو الميتافيزياء، أو الجاذبية الأرضية، أو الدينامية الحرارية، أو البصريات، أو الكيمياء، أو علم التشريح المقارن، أو علم الفلك، أو علم النفس، أو علم الأصوات، أو علم الاقتصاد، أو النبيذ، أو علم القياس والموازين، إلا دراسة سيميائية أو سيميوطيقية.[25]

أما فرديناند دي سوسير Ferdinand de saussure، فبحكم الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه اللغة ، انصب اهتمامه على إرساء دعائم نظرية لسانية جديدة تقوم على مبدأ النظر في اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها ولم يكن كلامه عن السيميولوجيا إلا اقتراحا، فقد قدم تصورا عاما لعلم مستقل بذاته يكون فرعا من علم النفس العام وتكون اللسانيات فرعا منه اسمه السيميولوجيا، تكون وظيفته الأساسية دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية وكشف القوانين التي تحكمها؛ يقول:"يمكننا – إذن – أن نتصور علما يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية يكون فرعا من علم النفس الاجتماعي، ومن ثم، فرعا من علم النفس العام نطلق عليه اسم السيميولوجيا من الكلمة اليونانية Sèmeion بمعنى signe أي علامة. وسيكون على هذا العلم أن يعرفنا بماهية هذه العلامات، وبالقوانين التي تحكمها. وما دام هذا العلم لم يوجد بعد، فليس بالإمكان التكهن بمستقبله، إلا أن له الحق في الوجود ومكانته محددة سلفا. وليست اللسانيات سوى فرع من هذا العلم العام وسوف تطبق القوانين التي تكتشفها السيميولوجيا على اللسانيات. ومن ثم، سوف يتم إلحاق اللسانيات بميدان جد محدد داخل مجموع الممارسات الإنسانية".[26] وإذا كانت اللغة عند "فرديناند دي سوسير" Ferdinand de saussure نظاما من العلامات تعبر عما للإنسان من أفكار وهي في هذا

شبيهة بالكتابة وبألفبائية الصم البكم و بالطقوس الرمزية وبصور آداب السلوك وبالإشارات الحربية وغيرها بحيث تكون أهم هذه الأنظمة جميعا، وكانت اللسانيات فرعا من السيميولوجيا التي هي فرع من علم النفس العام؛ فإن العلامة – في نظره – لسانية وغير لسانية تعنى السيميولوجيا بالكشف عنها وبرصد مختلف الدلالات التي تحيل عليها وباستخلاص القوانين التي تحكمها. والعلامة اللسانية–على حد تعريف فرديناند دي سوسير Ferdinand de saussure– لها وحدة نفسية ذات وجهين يرتبط أحدهما بالآخر ارتباطا وثيقا ويستدعي أحدهما الآخر، هما: الصورة السمعية والتصور.[27] وليست الصورة السمعية صوتا ماديا أو شيئا فيزيائيا خالصا، إنما هي البصمة النفسية لذلك الصوت، وقد عوضها بمصطلح الدالأما التصور، فهو تمثيل ذهني للشيء، أي تصور له في الذهن وقد عوض لفظ التصور بمصطلح المدلول. فالعلامة، إذن، مؤلفة من مؤلفة من دال ومدلول.[28] أما العلاقة بين الدال والمدلول فهي–في نظره– اعتباطية لأن الكلمات التي تربطها بمدلولاتها علاقة طبيعية، معدودة. وما دامت العلامة اللسانية – في نظره – مقياسا للنظر في العلامة غير اللسانية فإن العلامة غير اللسانية تتراوح بين اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول وبين "طبيعيتها".[29]

فالسيميائية La sémiotique والسيميولوجيا La sémiologie –إذن– هما علم العلامات سواء أكانت هذه العلامات لسانية أم غير لسانية، يهتم برصد العلامات المختلفة، وبتصنيفها، وببيات دلالاتها، وبكشف القوانين التي تحكمها. ومن ثم، استعمل مصطلحا La sémiotique وLa sémiologie جنبا إلى جنب ،على الرغم من أن مصطلح La sémiotique الشبيه بمصطلح The semiotics أكثر ارتباطا بالدول الناطقة بالإنجليزية في حين يضرب مصطلح La sémiologie بجذوره في الثقافة الفرنسية. ولعل هذا ما حمل الباحث البلغاري "تزفيتان تودوروف Tzvetan Todorov" [1939م] على عرض مفهوم السيميائية La sémiotique بشيء من التردد ، فساوى بينها وبين السيميولوجيا، وإن كان تقديمه مصطلح

السيميائية La sémiotique على مصطلح السيميولوجيا La sémiologie، ووضعه مصطلح السيميولوجيا La sémiologie بين قوسين ينبيء عن موقفه وهو اختياره مصطلح السيميائية La sémiotique.. يظهر ذلك في تعريفه الذي أورده في المعجم الموسوعي الذي اشترك في تأليفه مع أوزولد ديكرو Oswald Ducrot وهو الموسوم بـــ المعجم الموسوعي لعلوم اللغة Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage؛ يقول: La sémiotiqueou sémiologie est la science des signes [30] والعنوان نفسه الذي وضعه لمقاله المستهل بهذا القول المذكور دال على ذلك الموقف أيضا: sémiotique. ومع ذلك، ما فتيء يؤكد في أكثر من موضع من هذا المقال على أن السيميائية ليست سوى اقتراح ومشروع في طريق الإنجاز؛ يقول:"على الرغم من وجود هذه الأعمال في السيميائية، وعلى الرغم من قرابة قرن من تاريخ النشأة وعشرين قرنا لما قبل تاريخ النشأة، تبقى السيميائية مشروعا أكثر منها علما قائما بذاته. أما جمل سوسير Ferdinand de saussure التنبؤية، فتبقى مجرد تطلعات" [31]. ويقول: "نرى – إذا وضعنا مسائل الكتابة جانبا – أن السيميائية تبقى في الوقت الراهن جملة من الاقتراحات أكثر منها هيكلا من المعارف القائمة بذاتها".[32] وفي سنة ثمان وستين وتسعمئة وألف ميلادية 1968م، اتفق الباحثون الفرنسيون "ألجرداس جوليان غريماس"Algirdas Julien Greimas [1917–1992م] و"كلود ليفي ستروس" Claude Lévi Strauss (1908) و"إميل بنفنست" Emile Benveneste [1902–1976م]، و"رولان بارث" Roland Barthes [1915–1980م] و"رومان جاكوبسن" Romand Jackobson [1896–1983م]، على اختيار مصطلح السيميائية La sémiotique. وكان ذلك تمهيدا لتأسيس الجمعية الدولية للسيميائية سنة تسع وستين وتسعمئة وألف ميلادية، التي ترأسها الباحث الأمريكي" تومس سيبوك توموس "Thomas .A.Sebeok . Tome، وترأس مكتبها الباحث زلكوسكي S. Zolkiexski، وشغل غريماس A. J. Griemas منصب الأمين العام لمكتبها، وكانت فرقة البحث التي تعينها مكونة من الباحث الفرنسي "جان كلود كوكي" Jean Claude Coquet، والباحثة البلغارية الأصل الفرنسية الجنسية "جوليا كريستيفا" Julia Kristéva (1941)، والباحث الفرنسي "جيرار جينات" Girar Genette (1930) والباحث

باكيس والباحث "جون كوهين" John Cohen. (33) وقد شرعت هذه الجمعية منذ تأسيسها في إصدار مجلة فصلية أطلقت عليها اسم سيميوتيكا Sémiotica ضمت هيئة تحريرها – آنذاك – باحثين متميزين ينتمون إلى أهم المراكز العلمية في العالم، نذكر منهم: الباحث السوفييتي "يوري لوتمان"Iouri Lotman والباحث الإيطالي "أمبرطوإيكو" Umberto Ecco، والباحثة"جوليا كريستيفا "Julia Kristéva. وقد كان لهذه المجلة الفضل في التعريف بالسيميائية وفي إثراء عملية البحث فيها وفي تطور الدراسات الشكلانية والبنوية واللسانية من منظور سيميائي. فعنيت منذ نشأتها بتوضيح مسألتي المصطلح والمفهوم، ومسألة ماهية العلامة والدليل، ومسألة الدلالة و التطور الدلالي. وعلى الرغم من تقدم البحث في السيميائية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية (1939–1945م) وتعدد المؤلفات الموضوعة في هذا المجال وغزارتها، ظلت قضية الاختلاف في اختيار المصطلح مطروحة وهو ما جعل الباحث الفرنسي "غريماس A . J. Griemas يدلي بتصريح نشرته الجريدة الفرنسية العالم Le monde في السابع من شهر جوان سنة أربع وسبعين وتسعمئة و ألف ميلادية 07 جوان 1974م نبه فيه إلى ضرورة الاهتمام بالمسائل السيميائية الجادة، وذكر فيه بمكانة مصطلح السيميولوجيا La sémiologie في الثقافة الفرنسية[34]. نكتفي من ذلك التصريح بعبارته التالية:" أعتقد أنه لا يجب أن نولي أهمية للنزاع حول الكلمات في الوقت الذي تنتظرنا فيه أشياء كثيرة".[35] وهذه الموسوعة العالمية التي وضعها "أوزولد ديكرو" بالاشتراك مع "جون شيفر" تصر على أن يحمل مصطلح السيميائية La sémiotique معنى العلم، وإن كانت قد عدلت المفهوم الذي أورده "تودوروف " له والذي كنا قد أوردناه في فقرة سابقة. والمفهوم الذي أوردته هو التالي:"science des signes،Sémiotique" أي:" السيميائية علم أنظمة العلامات".[36] وكأنها بزيادة لفظ أنظمة تميز بين ميدانين اثنين، هما:علم العلامات، وعلم أنظمة العلامات. يصلح أحدهما لأن يكون شاملا: علم العلامات، ولا يملك الآخر إلا أن يكون فرعا: علم أنظمة العلامات. بيد أن مسألة المصطلح والمفهوم لم تقف عند هذا الحد، بل طرحت اقتراحات انتقلت بالسيميائية من مجال أعم وأشمل إلى آخر أدق، ومن مجال العلم إلى مجال المنهج والدراسة والطريقة في التحليل والآلية في

الإجراء؛ فقد اقترح اللساني" لويس يلمسلاف" Louis Hjelmslev ربط مصطلحي السيميائية La sémiotique والسيميائيات، بصيغة الجمع، بالبحوث التي تعنى بمجالات خاصة أدبية- دينامية-سينما توغرافيا، واعتبار السيميولوجيا La sémiologie نظرية عامة لكل تلك السيميائيات الخاصة.[37] ومن ثم، أطلقت تسميات من مثل: سيميائيات لسانية – سيميائيات أدبية – سيميائيات أسلوبية – سيميائيات سردية – سيميائيات الصوت – سيميائيات اللون – سيمنائيات الصورة-سيميائية القراءة – سيميائية النص- سيميائية الخطاب – سيميائية قصصية – سيميائية الشخصية. وبعد هذا العرض، نصل إلى أهم النتائج المتوصل إليها، وهي:

1 – السيميائية من السيمياء التي تعني العلامة وهي مأخوذة من الجذر اللغوي س و م.

2 – ثمة تشابه بيّن بين الكلمة العربية سيميا والكلمة اليونانية Sèmeion وكلاهما يعني العلامة.

3 – أطلق مصطلحا السيميائية والسيميولوجيا في بداية الأمر على علم العلامات ثم اختص مصطلح السيميولوجيا بالعلم ومصطلح السيميائية بالمنهج.

وخلاصة القول، أن السيميائية أصبحت في عصرنا الحالي من أكثر المناهج نجاعة في دراسة النصوص وهو الأمر الذي يستدعي التعريف بها على أوسع نطاق.

الهوامش :

1- Paul Robert, Petit Robert, Dictionnaire alphabétique et analogique, Sémiotique, PP. 1795.
2- Ibid.
3 - ابن منظور ، لسان العرب ، جـ 12 م ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، 1975 م ، ص 312 .
4 - المرجع نفسه.
5 - المرجع نفسه.
6 - الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د . إبراهيم السامرائي ، جـ 7 ، دار ومكتبة الهلال ، د.ت ، ص 321. مكتبة المعاجم و الغريب و المصطلحات C.D]
7، 8 ، 9 ، 10 ابن منظور ، لسان العرب ، جـ 12 م ، سوم ، ص 312.
11 المرجع نفسه ، ص313.
12 الآلوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ، جـ 16 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ص 227. مكتبة التفسير و علوم القرآن C.D
13 صديق بن حسن القنوجي ، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، تحقيق: عبد الجبار زكار ، ج– 2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1978 م ، ص 333. مكتبة التفسير و علوم القرآن C.D
14 المرجع نفسه ، ص 332.
15 المرجع نفسه ، ص 365.
16 الذهبي ، الكبائر ، جـ 1 ، دار الندوة الجديدة ، بيروت – لبنان ، ص 15. مكتبة البيت المسلم الشاملة C.D
17 عبد الرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي ، جـ 3 ، ط2 ، مزيدة و منقحة ، مطبعة الرسالة ، لجنة البيان العربي ، ص 1248.
18 عبد الرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي ، جـ 4 ، مرجع سابق ، ص 1271.
19- Oswald Ducrot et Tzvetan Todorov، Dictionnaireencyclopédique des sciences du langage، Seuil، Paris-France، 1972, PP
20 د.مبارك حنون ، دروس في السيميائيات ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء – المغرب ، سلسلة توصيل المعرفة ، ط1 ، 1987 م ، ص 77.
21 تشارلز ساندرس بيرس ، تصنيف العلامات ، ترجمة : فريال جبوري غزول ، ضمن كتاب أنظمة العلامات في اللغة ةو الأدب و الثقافة ، مدخل إلى السيميوطيقا ، ط1 ، إشراف سيزا قاسم و نصر حامد أبو زيد ، دار الياس العصرية ، القاهرة– مصر ، 1986 م ، ص 138 – 139 .
22 ، 23 المرجع السابق ، ص 78.
24 المرجع نفسه ، ص 45– 46.
25- Oswald Ducrot et Tzvetan Todorov، Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage، op.، PP113.
26- Ferdinand de Saussure، Cours de linguistique générale، Payot، Paris –France، 78، P33.
27 ، 28 المرجع نفسه ، ص 99.
29 د. مبارك حنون ، دروس في السيميائيات ، مرجع سابق ، ص .38
30- 31,32 Oswald Ducrot et Tzvetan Todorov، Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage، op، PP 113.
33 السيميائية والنص الأدبي، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار– عنابة، 17/12 ماي 1995 م، منشورات جامعة باجي مختار– عنابة، مقال: السيمياء وتبليغ النص الأدبي: بشير إبرير، ص 25.
34 ، 35 المرجع نفسه ، ص 26 – 27.
36- Encyclopédie Microsoft Encarta 2002، Sémiotique.
37 المرجع نفسه، ص 27.